اصل لفظ كعبة ومكة وكربلاء

نشر احد المكاتبين في بعض المجلات العلمية ما صورته :

سألتكم عن اصل كعبة ومكة فاجبتم ان الاسم كعبة محرف من الكلمة كابلا (كذا) التي معناها مسجد . فارى انكم مصيبون (كذا) لان كلمة كابلا كانت تطلق على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران . وبعد البحث وجدت ان الكلمة كابلا مشتقة من كاربالا اي العمل الصلوي (كذا) وكاربلا كانت اسم (كذا . يريد اسماً) لمعبد عظيم وهو مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ . والمذكور في تواريخ الشرق عن النبي تموز هو انه ولد في مدينة الاهواز وهجر الاهواز الى كربلاء وهناك قتل هو وبنوه وانصاره وبعد قتلهم آمنت به قبائل تلك النواحي وبنت على قبره قبة عظيمة وكانوا يأتون من جميع النواحي لاجل زيارته . وكانوا في هذه الزيارات ينشدون المراثي ويلبسون الثياب السوداء ويبكون عليه . وغالباً لا تكون هذه الزيارات الاّ في شهر تموز . أما اتباعه فقليلون الآن البعض منهم في سواك شيخ (؟) والآخر في البصرة . واسمهم الآن الصابئون واكثر عملهم في الصياغة ولا يزالون للآن يجرون شعائرهم الدينية بالتطواف حول كربلاء ولبس الثياب السوداء وانشاد المراثي . ويظن بعض الشيعيين انهم يبكون على الحسين رضي الله عنه . وذلك من الاتفاقات الغريبة . اي ان يكون مشهد الامام الحسين هو ذات مشهد تموز اه وقد تبين لي ان الكاتب المذكور قد اخطأ المرمى فاقول :

١ً لا يمكن ان تكون لفظة كعبة مأخوذة من كابلاً (capella) لان هذا الحرف بهذا المعنى حديث الوضع بالافرنجية بالنسبة الى مثله في العربية .

٢ً ان بين اللفظتين كعبة وكابلاً بوناً عظيماً

٣ً ان كابلاً فرنساوية الوضع لا لاتينيته . ومن تلك اللغة نقلت الى هذه . والحال لا يمكن ان يعقل امر اخذ العرب لفظة عن محدثي الفرنسيس .

٤ً ولو فرضنا ان اللاتينية سبقت الفرنساوية في هذا المعنى فالعرب لم يأخذوا عن اللاتين لفظة تتعلق بامور الديانة . الاّ ما حدث منها في هذه العصور الاخيرة .

٥ً واما ان كلمة كابلاً اطلقت على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران . فالتاريخ يخالف هذا التأكيد الزائف عن الغرض . واما ان كابلاً مشتقة من كاربالا فهذا امر يخالف كل معقول ومنقول . لان كاربالا فارسية وكابلاً فرنساوية او لاتينية على رأي ضعيف ونصارى الفرس لم يعيروا الافرنج لفظة واحدة دينية لتكون هذه اللفظة الثانية . اما كابلاً فمشتقة

من cappa وهي الحبرية او الغفارة ويراد بها ثوب يشتمل به الكاهن كالرداء عند القيام بشعائر الدين والظاهر ان اسم الكابلاً وهي المصلى مأخوذ عند الافرنج من غفارة او حبرية وضعت في مصلى وتلك الحبرية كانت لاحد القديسين بمنزلة الذخيرة فسمي المصلى بها . هذا الذي ذهب اليه لتره وهو ارجح من كلام مكاتب تلك المجلة

اما ان كابلاً لا يراد به المسجد ولا سيما كعبة نجران فلأن المصلى او الكابلاً لا يكون فيه الاَّ مذبح واحد واكثر ما يكون لأهل بيت او قصر خاص . ولا يمكن ان يقال فيه القدّاس الاَّ بإذن أُسقف الابرشية والكعبة معبد عام . وتفسير كاربالا بالعمل الصلوي غريب فلفظة « كار » فارسية ومعناها العمل او الشغل « وبالا » يعني الاعلى فيكون محصل المعنى : « العمل الاعلى » لا العمل الصلوي . .

اما كون كاربالا مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ فالمذكور في هذا الموطن ان « هناك كانت نساء جالسات يبكين على تموز » ولم يقل صاحب السفر الكريم انهُ نبي . والمشهور عن تموز انهُ من معبودات اهل فينيقية وكان يسمى ايضاً « أدونيس » ومن الاخبار الشائعة عنهُ انهُ قتل وهو شاب سيء في قرية غيثة من الاصقاع المذكورة فناحت عليه امه الزهرة او عشتاروت . وهذه هي خرافة لا حقيقة لها وانما كانوا يرمزون بها الى الشمس وتقلباتها من حالة النور الى الظلام في بعض فصول السنة . فكانوا اذا قدم الخريف يحتفلون باعياد يدعونها « جنازة ادونيس » . راجع المشرق ٢ : ٥٩٨ و٧٠٢ الخ . فقول المكاتب ان تموز وُلد في مدينة الاهواز فليس لهُ من الحقيقة ادنى نصيب واما انهُ قتل هو وبنوهُ وانصارهُ في كربلاء فحديث خرافة لا ذكر لذلك في تواريخ الشرق . والمكاتب لم يذكر اسم هذه التواريخ ولا اصحابها الذين نطقوا بها

واما قولهُ : (واتباعهُ قليلون اليوم ... واسمهم اليوم الصابئون) . فليس لهذا المعبود اتباع في بلاد العراق . والمتعبدون لهُ كانوا في فينيقية لا غير . وحكاية قتله موضوعة فكيف يقال بعد هذا انهُ دفن هو واتباعهُ في كربلاء . والصابئون لا يعبدون تموز قط . وهم لا يوجدون في سوق الشيوخ (لا سوك شيخ) ولا في البصرة بل كانوا هناك في سابق الزمان وهم الآن في الناصرية والعمارة وما جاورهما من القرى الصغيرة . والصابئون لا يترددون الى كربلاء ابداً ولا يكون احداً في مواطنهم .

وعندي ان كربلاء مفتوتة من كلمتين اشوريتين وهما : (كَرَبَ) و (إبلا) ومعنى الكرب : الحرَم وابلا : الإله . فيكون محصل المعنى : حرَم الله او حرَم الإله . لإله كان هو هناك وهذا يدل على ان هذا الموضع كان في سابق الزمن حرَماً لإله من آلهة

الاشوريين او الكلدانيين او ما ضاهاهم من أمم تلك البلاد المنقرضة المجهولة . ووجود الأحرام (جمع حرم) عند تلك القرون امر مشهور لا يحتاج الى تنبيه الانظار اليه . وعليه فكان كربلاء في سابق العهد إما بمنزلة الحرم لاحد آلهتهم . واما انه كان فيه محراب او هيكل يعبد فيه . لان لفظة (حرم) عند الاشوريين (وكذا عند الكوشيين والحبش) تعني كلا الامرين يعني الحرم والمحراب .

والظاهر ان (الكرب) مبدلة من لفظة (الحرم) او هذه من تلك . فقال بعضهم فيه (الحرب) على لغة مازن اي ممن يبدل الميم باء كما قالوا : البوباء والموماة . والصرم والصرب ورجل بجباج ومجماج الخ . ومن بقايا الحرب بالعربية المحراب وهو بمعناها او يكاد . ولا جرم ان (الكرب) بمعنى (الحرم) كان معروفاً عند بادية بائدة العرب ثم اميتت اللفظة بعد ان وُلد من عقبها لفظ محراب فعاش الى يومنا هذا بعد ان قتل ذاك . ولما صارت الكلمة بلفظ الحرب تلقاها عرب آخرون من مجاوري الاشوريين او تلقى الاشوريون اللفظة عن العرب اولما اختلط الاشوريون بالعرب وكان يصعب على الاشوريين النطق بالحاء اذ هي غير موجودة في لسانهم ابدلوها بالكاف وفي بعض الاحيان بالخاء فانتقلت اللفظة من صورة (حَرَب) الى صورة (كَرَب) . بل ان بعض العرب كانت تبدل ايضاً الحاء كافاً . فقد قالوا الخشخش والكشكش . وأكثر النخل وأخثر والكابي والخابي .

ووقوع حرفين مبدلين في الكلمة الواحدة غير منكر عند العرب فقد قالوا : السبت والشبث وأعفك ولعلك وفلان منسرح من الكرم ومنسلخ الى آخر ما هناك وعندنا غير هذه الامثلة تربي على المئات .

واما من ذهب الى ان كربلاء محوتة من (كرب) و (بلاء) فمن الاقوال السخيفة الواهنة التي لا تحتاج الى اظهار ما فيها من بعد التأويل واسم الموضع معروف قبل وجود العرب فيه . فتأمل .

واسخف من هذا كله قول من قال ان كربلاء سميت بهذا الاسم اخذاً من الكربلة مصدر كربل . وكربل الشيء خلطه لان ترابها مخلوط برمل . وقيل من كربل الحنطة غربلها لان ثراها يشبه ان يكون مغربلاً وقيل من كربل الرجل : مشى في الطين وكربل فلان : خاض في الماء وذلك ان الامطار اذا كثرت في كربلاء لا يوجد للرجل وسيلة سوى المشي في الطين او الخوض في الماء . وفي كل ذلك من التعسف في التأويل ما يكفينا مؤونة الخوض في تفنيد هذه الاقاويل . فتأمل .

واما اصل لفظة الكعبة فعندي انه عربي محض لان الكعبة عندهم الغرفة وكل بيت

مربع وهذا يشير الى اصل وضع الكعبة في سابق العهد . هذا فضلاً عن ان مادة (ك ع ب) تدل على التجمع والامتلاء ومنهُ كعبت الجارية نهد ثديها . وكعب فلانٌ الاناء : ملأهُ . وهذا يشير الى ان هذا البيت كان يجتمع اليه الناس من كل حدب وصوب والظاهر ان هذا الاصل الثلاثي من اروماة ثنائية الحرف يعين : (ك ب) ومنه : كب الشيء : ثقل (وبثقل عند تجمع جواهره او دقائقه) والغزل : جعله كبباً . والكباب : الكثير من الابل والغنم والتراب والطين اللازب والثرى وما تجمد من الرمل . والكبة الجماعة من الخيل والجرّوهق من الغزل والابل العظيمة والثقيل . . . الى آخر المادة فان معنى التجمع لا يزال معقوداً بناصيتها

وقل مثل هذا القول اذا ابدلت الكاف حرفاً يقاربها ويكثر التبادل بينها . يعني (ق ب) نقول : قب النبات : يبس (واليبس لا يخلو من تجمع في اجزائهِ) والقبُّ : الرئيس والملك والخليفة (اي الذي تجتمع عندهُ الناس لغرض من الاغراض) الى آخر ما هناك من مثل القبة . وهو بناء سقفه مستدير مقعر معقود الحجارة على هيئة الخيمة . . .

وكذلك اذا اخمست العين بين القاف والباء فانهُ ينهض اهضٌ بين يديك هو القعب والقعبة . وقعبَ الحافر كان مقبباً كالقعب . والقعب : القدح الضخم الجافي (الذي يجمع السوائل) والقعبة : شبه حقة للمرأة (تجمع فيها ادواتها) والقعبة : النقرة في الجبل (يجتمع فيها الماء) والقعيب : العدد الكثير (المجتمع بعضهُ الى بعض) . . . الخ

واذا استقربت مبدلات الحرفين وما يفخم بينهما لا تقع الاَّ على مثل ما مرَّ بك . وهذا كلهُ يدل على ان الكعبة من اصل عربي فمعناه التجمع لتجمع الناس فيها كما تجمع دقائق السوائل ونحوها في الاناء . وقد اتخذ العرب والعجم في السابق وفي هذه الازمان معنى لفظ الاناء وما جاء من هذا القبيل لمعنى محل التجمع فبكذا قالوا في معنى الكنيس والكنيسة وهكذا قالوا في بعض الالفاظ التي تدل على السفن

ولا تظن ان مادة (ك ب . او : ق ب . او : ك ع ب . او : ق ع ب) خاصة بالعربية بل قد وردت ايضاً بهذا المعنى في اليونانية . فان اهل هذه اللغة يقولون (قنبي) كما تقول العرب : قنب وذلك في بعض معانيها . وقالت اليونان (كوبي) كما قالت العرب : (كوب) وقالت اليونان (قوبس) كما قالت العرب : كعب وكعبة ومكعب

ومن ثم فاذا اراد بعضهم ان تكون الكعبة من اصل اعجمي فلا تكون الاَّ من احد هذه الالفاظ اليونانية الثلاثة المذكورة الا اننا نقول ونقول دائماً انها عربية العمومة والخؤولة

اما لفظة (مكة) فالذي يظهر لنا في اصلها انها اشورية من (مكا) بمعنى (البيت) من باب التغليب . كما ان الكعبة معناها : البيت المربع . ووجود الاشوريين في بلاد

العرب امرٌ لا شبهة فيه . والدلائل كثيرة بهذا الخصوص نكتفي بايراد واحد منها وهو قول عليّ حينما سأله اعرابي عن اصل قريش : (انا نزلنا من كوثى) وقد اتفق اغلب المفسرين واثبتهم قدماً في العلم ان المراد بكوثى هنا هي كوثى العراق وسكانها كانوا اشوريين فانتقال الاشوريين والكلدانيين الى مكة في سابق الزمن امرٌ لا ينكر ولا سيما بعد الاكتشافات العادية التي حسرت اللثام عن اسرار جمة كانت خفية عن عيون الانام . وربك اعلم بحوادث الايام والاقوام .

بغداد

احمد قدري المقنبس

بني الارض

بني الارض هل من سامع فابثه ... حديث بصير بالحقيقة عالم
جُبلنا على حب الحياة وانها ... مخيفة احلام اطافت بحالم
سعى الناس والاقدار مخبوءة لهم ... وناموا وما ليل الخطوب بنائم
جرت سفن الايام مشحونةً بنا ... على بحر عيش بالردى متلاطم

***

تأملت في الاحياء طرًّا فلم اجد ... بهم باسما الا على الف واجم
ورب سعيد واحد تم سعده ... بالف شقيّ في المعيشة راغم
وما المرء الاّ دوحة في تنوفة ... مزاحمة اغصانها بالسمائم
لها ورق قد جفّ الاّ اقله ... وعيدانها بين النيوب العواجم
ولا بدّ ان تجتث يوما جذورها ... وتقلعها احدى الرياح الهواجم

***

ارى العمر مهما ازداد يزداد نقصه ... اذ انحن في نقص من العمر دائم
ولولا انهدام في بناء جسومنا ... لما احتجم في تعميرها للطاعم
لحا الله بأساء الحياة كأننا ... نكابد من حاجاتها بالادهم
نروح كما نغدو نجاهد دونها ... امورًا دعتنا لارتكاب الجرائم
فلو كنت في هذا الوجود مخيرًا ... وفي عدمي لاخترته غير نادم

***

هل الموت الا سالك رحياتنا ... اليه سبيل مستبين المعالم